المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر - بغداد - الجمهورية العراقية

المجلد 14

العدد 1

رئيس التحرير هلال ناجي الكبيسي

سكرتيرة التحرير هدى شوكة بهنام

WWW.ATTAWEEL.COM

العلاقة بين الصوت والمدلول

بقلم

عبد الكريم مجاهد

قطر – الدوحة

اذا كان حقا لم يعد يشغل بال اللغويين البحث في نشأة اللغة ، فذلك لانه امر قائم على افتراضات نظرية ليست عاجزة عن كشف النقاب عن أولية اللغة فحسب ، وانما كانت محل خلاف قديم لم يحسم امره وترتب عليه خلاف آخر نال قسطا وافرا من اهتمام اللغويين وهو العلاقة بين اللفظ والمدلول . هذه العلاقة التي اصبحت حجر الزاوية في علم الدلالة Semantics المختص بدراسة المعنى ، الذي أصبح بدوره محورا للدراسات اللغوية الحديثة . وكان شيئا طبيعيا بل ضروريا أن تستثير الصلة بين اللفظ والمعنى اهتمام اللغويين وان يلفت انظارهم هذه الصورة الصوتية التي بمجرد النطق بها تثير صورة ذهنية ترتبط كليا او جزئيا بصورة خارجية .

وثارت تساؤلات عدة حول طبيعة هذه الصلة ، اهي طبيعية ؟ فتكون معها دلالة الالفاظ على معانيها ذاتية ، بمعنى ان كل صوت يرمز الى معنى ، فتكتسب الألفاظ دلالتها من خلال جرس أصواتها ، وينشأ ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات والدلالات Sound Symbolism . وهذا اتجاه وجد كثيرا من اللغويين يؤيدونه ويحاولون اثباته بكل ماتيح لهم من تصورات عقلية . ام ان هذه الصلة اصطلاحية مصطنعة يفرضها الانسان بمحض ارادته ، باختياره اسما لكل مسمى تواضعا واتفاقا ؟ فتكون الالفاظ رموزا لغوية اصطلاحية تنفي التلازم الدائم والطبيعي بين الصوت والمعنى او بين اللفظ ودلالته . وهذا الاتجاه نظرا لقربه من الطبيعة اللغوية العملية التي تأبى الغموض قد تيسر له من الانصار والمؤيدين ماكتب له الغلبة حتى اصبح من المتفق عليه في الدرس اللغوي الحديث ان العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اعتباطية Arbitrary .

ولكن معرفة هذه النتيجة لايمنع من أن نتناول المسألة برمتها تاريخيا وان نرصد ، ماامكننا ، ابرز الآراء في كلا التيارين .

فاذا توغلنا في التاريخ قليلا سيصادفنا افلاطون (–٣٤٧ق.م) باصراره على وجود العلاقة الحميمة بين الكلمة وماتدل عليه ، فقد كان مأخوذا بسحر الكلمة مغتبطا بشفافيتها انطلاقا من اعتقاده ان اللغة ظاهرة طبيعية ، وفي محاولته البحث عن اصل اللغة يناقش هذه العلاقة في محاورات كراطيلوس Kratylus حيث يقول يسبرسن Jespersen : « ان فكرة المناسبة الطبيعية بين الصوت والمعنى وان الكلمات تكتسب محتواها وقيمتها من خلال رمزية صوت معينة كانت لها دائما الافضلية في الاهتمام اللغوى ، واكثر الامثلة شهرة على ذلك ماجاء في كراطيلوس افلاطون Platos Kratylus »(1) يشير بذلك الى

(1) Jespersen, Language Its nature, Development and origin, George Allen & Unwin Ltd., London, 1947 : P. 386.

WWW.ATTAWEEL.COM

ماعبر به افلاطون عن رايه بقوله على لسان كراتيلوس : « ان اطلاق الاسماء طبيعي وليس اصطلاحيا ، وانه ليس جزءا من الصوت الانساني الذي اعتاد الناس على استعماله . والذي يعطى ذلك وجها من الحق والصواب هو انها نفسها عند الهيلنيين Hellenes والبرابرة Barbarians »(٢) .

ويبدو ان هذه الفكرة هي بذرة سفسطائية رمزوا بها الانفاظ ليكسبوها شيئا من التمويه والغموض والسحر يتيح لهم التصرف فيها والتلاعب بها لتلائم مانادوا به من نسبية الحقيقة ، وذلك ان : « بروديكوس Prodicus وسوفسطائيي القرن الخامس قبل الميلاد قد ذهبوا الى القول بالعلاقة الطبيعية بين الكلمة وما ترمز اليه »(٣) . وقد تصدى لهم الفيلسوف اليوناني ديمقريطس في القرن الخامس قبل الميلاد مايعبر عنه افلاطون على لسان هرموجينس Hermogenes بقوله : « ان اي اسم تطلقه ، في رايي ، هو الصحيح . واذا غيرته واطلقت اسما آخر سيظل الاسم الجديد صحيحا كالقديم . وغالبا ما نغير اسماء عبيدنا ، ويظل الاسم الجديد صحيحا كالقديم . اذا فالطبيعة لاتطلق اسما على شيء ، بل تتم هذه التسمية بالاتفاق والعادة من الذين يستعملونها » (٤) . فديمقريطس يبرهن على ان دلالة الالفاظ ليست طبيعية ذاتية وانما هي مكتسبة بدليل اطلاقنا اسماء جديدة على المسميات فلا يتغير المضمون مع هذه الاسماء .

واذا كان افلاطون يرى ان الصلة وثيقة بين الالفاظ ومعانيها او بين الاصوات ودلالتها فان

(٢) The Dialogues of Plate Translated by: Benjamin Jowett, Encyclopeadia Britannica, USA 1952: P. 85 (Kratylus)

وانظر كذلك كمال يوسف الحاج : فلسفة اللغة ، ط ١ ، دار النشر للجامعيين ، ص ٢٠ ، ما اورده عن النسخة الفرنسية المترجمة عن اليونانية اذ يقول كراطيلوس : « يوجد ، بالطبيعة ، اسم صحيح لكل كائن في الحياة ، اذ الكلمة ليست تسمية يطلقها البعض على الشيء بعد التواطؤ » .

(٣) علم اللغة ، د . محمود السعران . ص ٢٤٨ . مقدمة للقارىء العربي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م .

(٤) The Dialogues of Plato : Kratylus: P. 85.

تلميذه ارسطو (ـ ٣٢٢ ق.م) قد اخذ على عاتقه نقض هذه النظرية وتحطيم مقولة المناسبة الطبيعية بين الاسم والمسمى بقوله : « الاسم هو لفظة دالة بتواطؤ .. فاما قولنا بتواطؤ فمن قبل انه ليس من الاسماء اسم بالطبع الا اذا صار دليلا ، فان الاصوات ايضا التي لا تكتب بحدها فتبدل ، مثل اصوات البهائم ، الا انه ليس شيء منها اسما »(٥) وهكذا تكون اللغة ظاهرة اجتماعية وان اصواتها تدل على معانيها بالاصطلاح والتواطؤ وليست دلالاتها طبيعية .

اما سقراط (٦) فنستطيع ان نظفر بنظرة توفيقية نستخلصها من كلامه في محاورة كراتيلوس مفادها « ان الخوض في مثل هذه المسالة فيه مشقة وان هناك نوعا من الاسماء تدل وتشهد على انها لم تتم اعتباطا ، وان لها اصلا من الطبيعة » من الاسماء ماطلق بالمواضعة والاصطلاح ، وكثيرا ما يحدث تداول الالفاظ الفة بينها وبين ذهن الانسان » فهو يمسك العصا من وسطها فاطلاق الاسماء يحدث احيانا بالاتفاق والاصطلاح واحيانا اخرى تكتسب الالفاظ معانيها وترسخ في الاذهان عن طريق التكرار وكان العلاقة بين اللفظ ومدلوله مكتسبه وليست طبيعية ولايصدق ذلك على جميع الالفاظ لان بعض الاسماء لها اصل طبيعي .

وتظل القضية خاملة على ما يبدو لتحيا وتنشط في القرون الوسطى على يد علماء اللغة العرب وذلك انه في القرن الثاني الهجري قد ورد عن الخليل ابن احمد (ـ ١٧٥هـ) محاولة لاقامة جسر من العلاقة بين اللفظ ومدلوله فقد جاء في تهذيب اللغة مايعزى الى الخليل من انه قال : «صر الجندب صريرا ، وصر الباب يصر ، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير اذا امتد ، فكان فيه تخفيف وترجيع في اعادة ضوعف كقولك صرصر الاخطب صرصرة »(٧) . وجاء في الخصائص : « قال الخليل

(٥) منطق ارسطو : تحقيق عبدالرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، جـ ١ ـ ص ٦٠ وذلك من كتاب « العبارة » ترجمة اسحق بن حنين .

(٦) The Dialogues of Plato : Kratylus : pp. 89, 92.

(٧) الازهري : تهذيب اللغة : تحقيق احمد عبدالعليم البردوني ، مراجعة على البجاوي ، الدار المصرية للتاليف والترجمة : باب الصاد والراء (جـ ١٢ ، ص ١٠٦) .

كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا ، فقالوا صر ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر »(٨) فكانت هذه اشارة واضحة من الخليل الى هذه الظاهرة اللغوية التي يحكي فيها صوت الكلمة معناها فصر صورة لفظية لصوت الجندب المستمر دون تقطع وصرصر يحكي صوت البازي الذي نسمع فيه تقطيعا .

ونجد في الكتاب عبارة لسيبويه (ــ ١٨٠هـ) يربط فيها بين الصوت والمعنى او بين اللفظ والمدلول حيث يقول : « ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد ، حين تقاربت المعاني قولك : النزوان والنقزان والقفزان ، وانما هذه الاشياء في في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ، ومثله العسلان والرتكان ، ومثل هذا الغليان لانه زعزعة وتحرك . ومثله الغثيان لانه تجيش نفسه وتثور ومثله الخطران واللمعان لان هذا اضطراب وتحرك ومثل هذا اللهبان والوهجان لانه تحرك الحر وتثوره فانما هو بمنزلة الغليان »(٩) اذا فالمصادر التي على وزن فعلان في راى سيبويه تنم اصواتها عن معناها او تصور الحركات التي تصاحب الحدث ، فيستشعر في الفعلان الاهتزاز والاضطراب والحركة وينسحب هذا الحكم على كل مصدر جاء على هذا الوزن ، فمهما كانت حروفه لابد ان نلحظ فيه هذا المعنى ، والمبنى فيه دلالة على المعنى . فهذه صلة وثيقة وعلاقة واضحة بين الأوزان ومعانيها يعقدها سيبويه .

كانت اشارة الخليل وسيبويه بمثابة الضوء الأخضر الذي فتح الباب على مصراعيه . لمن جاء بعدهما ، فهذا ابن دريد (ــ ٣٢١هـ) يضع كتابه الاشتقاق على اساس من هذه النظرية كتعليله اسماء الاعلام والقبائل في الجزيرة العربية : فهذيل من الهذل وهو الاضطراب ، وقضاعة من انقضع الرحل عن اهله اذا بعد عنهم، او من قولهم تقضع بطنه اذا أوجعه »(١٠) ويفسر ابن دريد تسمية العرب

(٨) ابن جني : ٢/١٥٢ . الخصائص : تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م .

(٩) الكتاب : ط ١ ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، ١٣١٧هـ : ٢/٢١٨ .

(١٠) الاشتقاق : تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، مؤسسة الخانجي بمصر ، مطبعة الرسالة المحمدية ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٨ م : ص ١٧٦ ، ص ٥٢٦ .

لابنائهم تفسيرا يقوم على وثوق الصلة بين الاسماء ومدلولاتها ، فعن السجستاني قال : قيل للعتبي : ما بال العرب سمت ابناءها بالاسماء المستشنعة وسمت عبيدها بالاسماء المستحسنة ؟ فقال لانها سمت ابناءها لاعدائها ، وسمت عبيدها لانفسها»(١١) ويفسر ابن دريد كلام العتبي فيقول :« واعلم ان للعرب مذاهب في تسمية ابنائها فمنها ماسموه تفاؤلا على أعدائهم نحو : غالب وظالم ، ومقاتل وثابت ... ومنها ما يسمى بالسباع ترهيبا لاعدائهم نحو اسد، وليث ، وذئب ... ومنها ما سمى بما غلظ من الارض وخشن لمسه وموطئه مثل : حجر صخر»(١٢) هذه الاسماء تكسب اصحابها عندهم قوة وشدة ترهب عدوهم ، او كانها توحى للاعداء من خلال لفظها بشدة بطش من يسمون بها فتشيع الرعب والرهبة في نفوس الأعداء . وماذلك الا لرابطة يستشعرونها بقوة بين اللفظ ومدلوله .

ويسلك ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة ، نهجا يوجه فيه عنايته الى هذه الصلة وقد جاء في الصاحبي : القلم لايكون قلما الا وقد برى واصلح والافهو انبوبة . وسمعت ابي يقول : قيل لاعرابي : ماالقلم ؟ فقال : لاادرى . فقيل له : توهمه ، فقال : هو عود قلم من جانبه كتقليم الاظفور فسمى قلما (١٣) » اذا فهو يستشعر الصلة بين اللفظ ومدلوله مستدلا بما استشعره الاعرابي ، فالتقليم الذي حصل للعود جعله يستحق ان يطلق عليه لفظ قلم .

وكان ابن جني اكثر اللغويين المتحمسين لفكرة الصلة بين اللفظ والمدلول اذ بسط المسالة ، واخذ على عاتقه تفتيقها وتفصيل دقائقها حيث عقد لها فصولا اربعة في كتابه الخصائص متلمسا هذه الصلة فيما يعرض له من ظواهر صوتية معتمدا على قوة في التصريف اورثته دقة النظر في الاصوات ، وجرس الحروف طبع في ذهنه دلالات خاصة لطول مخالطته اياها وكثرة تعامله بها ومعها : والابواب التي عقدها هي : تلاقي المعاني

(١١) المرجع السابق : ص ٤ .

(١٢) المرجع السابق : ص ٥ .

(١٣) الصاحبي في فقه اللغة : ص ٩٨ ــ ٩٩ . مطبعة المؤيد ، المكتبة السلفية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ ــ ١٩١٠ م .

على اختلاف الاصول والمباني(١٤) ، والاشتقاق الاكبر(١٥) ، وتصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني(١٦) ، وامساس الالفاظ اشباه المعاني(١٧) .

اما الاشتقاق الاكبر وان كان يخيل الينا أن صلته بالظاهرة غير قوية ، فانه بفكرة التقاليب التي تدور حول معنى واحد بلطف الصنعة والتأويل يعطي مؤشرا ، ولو من بعيد ، على ولع ابن جني بفكرة المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله ، فالحروف او الاصوات مهما كان ترتيبها تجتمع على معنى واحد ، ومالابتعد منها عن هذا المعنى يرد اليه بلطف التأويل ، فهو لاصراره وقوة تمسكه بالأمر على استعداد لان يتكلف حتى يصل الى بغيته ، ولو سلمه ذلك الى التعسف في التأويل .

ولكن لماذا نتلمس له الصلة بين الاشتقاق الاكبر والمناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله وابن جني نفسه يصرح «بأن التقديم والتأخير في تقليب الاصول نحو (كلم) و (كمل) و (ملك) »(١٨) بوجه من الوجوه يقع تحت مايسميه تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني فهو يقول : « ان معنى «ق و ل» اين وجدت وكيف وقعت من تقدم حروفها على بعض وتأخره عنه ، انما هو للخفوف والحركة ... الاصل الأول وهو القول وذلك أن الفم واللسان يخفان له . و (ق و ل) منه القلو حمار الوحش وذلك لخفته وسرعته (وقل) منه الوقل للوعل وذلك لحركته ، و (ولق) قالوا ولق يلق اذا اسرع . و (لوق) ومنه لوق اي خدم واعملت اليد في تحريكه . و (ل ق و) منه اللقوة للعقاب لخفتها وسرعة طيرانها »(١٩) .

وتصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني الذي يقوم على تقارب الالفاظ نتيجة لتقارب المعاني ، اي ان المعاني المتقاربة يلزمها الفاظ واصوات متقاربة نحو : ازوهز . وعسف واسف ، تقارب مخرجا الهمزة والهاء لان الكلمتين تؤديان معنى واحدا ، وان المعنى في الهمزة اقوى منه في الهاء . كذلك تقارب مخرجا العين والهمزة في عسف واسف تبعا لتقارب معاني الكلمتين وان كانت الهمزة اكثر قوة في تأدية المعنى فهو يقول : « الهمزة اقوى من الهاء ... والهمزة اقوى من العين (٢٠) » لذلك كان الأز اعظم في النفوس من الهز لانك قد تهز مالابال له كالجذع وساق الشجرة ... كما ان اسف النفس اغلظ من العسف(٢١) » ويقول في المحتسب : «واعلم أن العرب تقارب بين الالفاظ والمعاني اذ كانت عليها ادلة وبها محيطة فمن ذلك مانحن عليه وهو نحت ينحت وقد قالوا نحط ينحط اذا زفر في بكائه ، فكان ذلك الضغط الذي يصحب الصوت ينال من آلة النفس ويحتها ويسفنها فيكون كالنحت لما ينحت لانه تحيف له واخذ منه . ونحو من ذلك قولهم في تركيب : ع ص ر ، ع س ر ، ع ز ر فالعصر شدة تلحق المعصور ، والعسر شدة الخلق والتعزير للضرب ، وذلك شدة لامحالة ، فالشدة جامعة للأحرف الثلاثة . ومنه تركيب ج ب ر ، ج ب ل ، ج ب ن المعنى الجامع لها اجتماع الاجزاء وتراجعها من ذلك جبرت العظم اي وصلت ماتفرق من اجزائه ، ومنه الجبل لاجتماع اجزائه ، ومنه جبن الانسان اي تراجع بعضه الى بعض واجتمع »(٢٢) فكل كلمة اشتركت مع الاخريين بحرفين وتشابهت معهما في مخرج الثالث فادى هذا التماثل الصوتي الى تماثل في المعنى ، ولايكتفي بتقارب اللفظين في مخرج واحد في كليهما وانما يضرب الامثلة لتقارب اللفظين في أكثر من واحد حيث يقول « وقد تقع المضارعة في الاصل الواحد بالحرفين نحو قولهم : السحيل والصهيل وذاك من (س ح ل) وهذا من (ص ه ل) والصاد اخت السين كما ان الهاء اخت الحاء »(٢٣) .
ويقول في المحتسب : « اصل ج د ل في الكلام القوة . منه قولهم غلام جادل : اذا ترعرع وقوى .. ونحو منه لفظا قولهم : ظبي شادن : اي قد قوى واشتد ؛ والشين اخت الميم والنون اخت اللام(٢٤) ويقول ايضا : « وتجاوزوا ذلك الى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة الفاء والعين واللام فقالوا عصر الشيء ؛

---

(١٤) الخصائص : ٢/١٣٣-١٣٣ .
(١٥) المرجع السابق : ٢/١٣٣ – ١٣٩ .
(١٦) السابق : ٢/١٤٥ – ١٥٢ .
(١٧) السابق : ٢/١٥٢ – ١٦٨ .
(١٨) السابق : ٢/١٤٦ .
(١٩) المرجع السابق : ١/ ص ٥ ومابعدها .
(٢٠) الخصائص : ٢/١٤٦ .
(٢١) المصدر نفسه .
(٢٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : تحقيق على النجدى ناصف والدكتور عبدالفتاح شلبى . المجلس الاعلى للشئون الاسلامية : القاهرة ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩ م : ٢/ص ٦ .
(٢٣) الخصائص ٢/١٤٩ ، ١٥٠ .

وقالوا ازاله اذا حبسه والعصر ضرب من الحبس وذاك من (ع ص ر) وهذا من (أزل) ، والعين اخت الهمزة والصاد اخت الزاي والراء اخت اللام »(٢٣) يقصد في الخارج . ونحو منه قولهم : « عطوت الشيء اذا تناولته ، وقالوا اتيت عليه : اذا ملكته واشتملت عليه والعين اخت الهمزة ؛ والطاء اخت التاء ؛ والواو اخت الياء . وهذا باب من اللغة لعله لو تقريت لاتى على اكثرها »(٢٤) .

وهكذا يمضي في ضرب الامثلة ليبرهن بالشواهد والادلة على صدق نظريته التي ترى ان تقارب مخارج الحروف او تقارب الأصوات في الألفاظ انما هو سبب لتقارب المعاني التي تؤديها هذه الاصوات .

وفي الباب التالي وهو الذي سماه « امساس الالفاظ اشباه المعاني » يعقد صلة تقابل تلك التي عقدها في « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» في المظهر لانها في جوهرها تؤدي الى النتيجة نفسها التي قصدها منها وهي العلاقة التي تصورها بين اللفظ ومدلوله ؛ ففي تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني يجعل الاساس او السبب الاول في تقارب الالفاظ هو ان تقارب الحروف في معانيها قد جعلها تتقارب في مخارجها ، ولكن في امساس الالفاظ اشباه المعاني يكون السبب في تقارب المعاني هو تقارب اصوات الكلمات اي ان المعاني تتقارب وتتشابه نتيجة لتقارب جرس الحروف ، وليدلل على صدق مقولته راح يعقد صلات شتى كالصلة بين الوزن الصرفي ومايوحى به من معنى كالمصادر التي جاءت على وزن «الفَعَلان » فهي كما جاء عند سيبويه « تأتي للاضطراب والحركة نحو نحو النقزان والغليان والغثيان (٢٤) » . وهي عند ابن جني تدل كذلك على الحركة والخفة والاسراع فقد جاء في المحتسب : « اكثر ماجاء فَعَلان في الأوصاف والمصادر مثل يوم صَخَدان ولهبان لشدة الحر ، واما المصادر فنحو الوهجان والنزوان والغليان والغثيان والقفزان والنقزان ، والمعنى في الوصف والمصدر جميعا من هذا المثال الحركة والخفة والاسراع (٢٥) » . ويعلق على ذلك في الخصائص قائلا : « فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال ووجدت انا من هذا الحديث اشياء كثيرة على سمت ماحذياه (يقصد الخليل وسيبويه) وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعّفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والجرجرة ؛ ووجدت ايضا (الفَعَلى) في المصادر والصفات انما تأتي للسرعة نحو البشكى والجمزى والولقى . فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر والمثال الذي توالت حركاته للافعال التي توالت الحركات فيها » يربط سيبويه بين وزن الفعلان . ومعنى الحركة والاضطراب فيوافقه ابن جني ويضرب الأمثلة لذلك من الأوصاف والمصادر ، ولم يكتف بذلك بل قام ابن جني بالنسج على منواله والقياس على كلامه ، فابنية « الفعللة » للتكرير اي ان تكرير الاصوات يصور تكرير المعنى والحدث اي ان تكرير الزاي والعين ، والقاف واللام ؛ والصاد واللام ، والقاف والعين ، والقاف والراء في الامثلة التي ساقها له دلالة معنوية ، اي لم يكن تكريرها جزافا فهي اصوات يوحي تكريرها باستمرار الحدث وتكريره اكثر من مرة . كذلك توالي الحركات على الحروف في مصدر « الفعلى » انما يدل على توالي العمل نفسه دون ابطاء او تراخ .

كذلك وزن « استفعل » في اكثر احواله للطلب لان الحروف رتبت حسب المعنى : فوهب وسقى وطعم كل فعل منها يدل على معناه من غير طلب ولكن زيادة الألف والسين والتاء عليها اكسبتها معنى الطلب فصارت استوهب واستسقى واستطعم بمعنى طلب الهبة والسقاية والطعام فهو يقول : « جعلوا استفعل في اكثر الامر للطلب ... رتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الافعال(٢٦) . وهكذا اقترن هذا البناء بهذا المعنى ؛ او بالاحرى اصبحت الالف والسين والتاء مرتبطة في هذه الصيغة بمعنى الطلب ففي اغلب احوالها اصبح لهذه الاصوات مثل هذه الدلالة .

ثم يعقد صلة بين عين الكلمة المضعف وبين المعنى القوى فتكرار الطاء في قطع ،والسين في كسر ، انما زادوا في الصوت لزيادة المعنى (٢٧) » وليدلوا باللفظ على تكثير الفعل نفسه وتقويته والمبالغة في

(٢٣) المحتسب : ٢٢١/١ ، ٢٢٢ .

(٢٤) الخصائص : ١٥٢/٢ - ١٥٣ ، الجمزى : حمار الوحش ، والبشكي : العدو السريع .

(٢٥) المحتسب : ١٣٧/١ - ١٣٨ .

(٢٦) الخصائص : ١٥٢/٢ - ١٥٣ .

(٢٧) المحتسب : ٢١٠/٢ .

حصوله ، فلما تكررت عين الكلمة وهي المحصنة من الجانبين بالفاء واللام ؛ اي انها قوية حتى لو بقيت مفردة غير مكررة ، فما كرروها الا ليدلوا بذلك على قوة المعنى ، بمعنى انهم زادوا في قوة اللفظ بتضعيفه ليزداد المعنى قوة فهو يقول : «ومن ذلك انهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا : كسّر ، وقطّع ، وفتّح ، وغلّق . وذلك انهم لما جعلوا الالفاظ دليلة المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي ان يقابل به قوة الفعل .. والعين اقوى من الفاء واللام وذلك لانها واسطة لهما ومكنوفة بهما فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها ... فهذا ايضا من مساوقة الصيغة للمعاني (٢٨) » ولاتخفى علينا ان تعليلاته منطقية خاضعة للتصور العقلي قد لاتخطر على بال المتكلم حين ينطق باللغة .

وذهب ابن جني اكثر من ذلك فعقد صلة بين اصوات الالفاظ وبين ماتدل عليه من احداث بمحاولته الربط بين دلالة الكلمة وجرس احد اصواتها او حروفها مسجلا بذلك سبقا على الفيلسوف الهولندي H. G. Pos الذي يقول : « ان الانتقال من الفونيم الذي يدل على نفسه بنفسه اذا الكلمة التي تدل على شيء آخر ليس انتقالا كبيرا اذا وضع الانسان في ذهنه منذ البداية ان الكلمات تتألف من فونيمات ، خاصة ان المعاني التي تنشا من ضم الكلمات في تركيبات تامة (يقصد جملا) تختلف تماما عن معاني الكلمات في حال انفرادها »(٢٩) يقصد بوز ان يقيم علاقة بين اجراس الفونيمات ودلالات الالفاظ التي تتضمنها تلك الفونيمات . فهو يربط مايوحي به الفونيم بمعنى الكلمة الذي هو جزء منها ، كتلك العلاقة القائمة بين الكلمة والتركيب . ورغم ان هذا الراي مردود من قبل اللغويين ومنهم اولمان الذي يرى في « الفونيمات انها علامات صوتية تميز الكلمات وليس لها دلالة خاصة بها ... وليس لها نصيب في التقسيم الدلالي »(٣٠) فانه من واجبنا ان ننبه الى ان ابن جني قد سبق بوز الهولندي في ادراك القيمة التعبيرية للفونيم ، وقدرته على صبغ معنى الكلمة بمايوحي به . ولسنا نزعم ان ابن جني قد قال ذلك بصريح العبارة ولكن ماساقه من امثلة تدل بوضوح على مضمون ما تكلم به بوز من ان : « الخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقثاء ... والقضم للصلب اليابس فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث ، ومن ذلك قولهم النضح للماء ونحوه ، والنضخ اقوى من النضح ؛ فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف . والخاء لغلظها لما هو اقوى منه »(٣١) . وجاء في المحتسب : « النضح بالحاء غير المعجمة للماء السخيف يخف اثره ، وقالوا : النضخ بالخاء لما يقوى اثره قبيل الثوب ونحوه بللاظاهرا ؛ وذلك لان الخاء اوفى صوتا من الحاء الاترى الى غلظ الخاء ورقة الحاء »(٣٢) . ففونيم الخاء ، والحاء ، والقاف كل واحد منها بما يحس فيه من صفات صوتية من غلظ او رخاوة او رقة او صلابة يوجه معنى الكلمة كلها ، فالخاء توجه الخضم لاكل الرطب والقاف توجه القضم لاكل اليابس لان الضاد والميم مرافقان لكل منهما . فالتأثير ليس لهما وانما للخاء والقاف . ومن الامثلة التي تعزز نظريته هذه ايضا قوله : «القبض بالضاد معجمة باليد كلها وبالصاد غير معجمة بأطراف الاصابع ... وذلك ان الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها جعلت عبارة عن الاكثر ، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها جعلت عبارة عن الاقل (٣٣) » . وهكذا كأن الكلمة واحدة واستعمالنا « الضاد » مع القاف والباء من اجل توجيه المعنى وجعل عملية القبض باليد كلها وليس بأطرافها . واستعمالنا الصاد مع القاف والباء عينهما انما من اجل تخصيص القبض بأطراف

(٢٨) السابق : ١٥٥ .

(٢٩) Ullmann, Stephen : The Principles of Semantics, Basil Blackwell Oxford, 1957. P. 31-32.

والفونيم كما يعرفه دانيال جونز : عائلة من الاصوات في لغة ماتتشابهة الخصائص ، ويمكن استعمالها بطريقة لا تسمح لاي من اعضائها ان يقع في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه اى عضو اخر .

Daniel Jones : The Phoneme Its Nature and Use, Cambridge University Press, Cambridge, 1976 : P. 10.

(٣٠) المرجع السابق .

(٣١) الخصائص : ١٥٧/٢ – ١٥٨ .

(٣٢) المحتسب : ١٩/٢ .

(٣٣) المرجع السابق : ٥٥/٢ .

الاصابع فاستبدلنا الضاد بالصاد . ومن ذلك ايضا قوله : « القد طولا والقط عرضا وذلك أن الطاء اخفض للصوت واسرع قطعا له من الدال فجعلوا الطاء للمناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته ، والدال المماطلة لما طار من الاثر وهو قطعه طولا »(٢٤) ؛ ومن ذلك القسم والقصم : فالقصم اقوى فعلا من القسم لان القصم يكون معه الدق ؛ وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ احدهما فلذلك خصت بالأقوى الصاد ، وبالاضعف السين (٢٥) » .

ولم يقتصر الأمر عند ابن جني على فونيم الحرف وانما جعله ايضا في فونيم الحركات قال أبو الفتح : « الذّل في الدابة : ضد الصعوبة ، والذّل للانسان وهو ضد العز ، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للانسان والكسرة للدابة ، لان مايلحق الانسان أكبر قدرا مما يلحق الدابة ، واختاروا الضمة لقوتها للانسان والكسرة لضعفها للدابة »(٢٦) . وهكذا يجعل من الضمة والكسرة فونيمين يوجه كل منهما المعنى ويخصصه فالكسرة لضعفها تخصص الذل اذا كانت على الذال للدابة ، واذا كانت الضمة على الذال فتخصص كلمة الذل للانسان وذلك لقوتها . وكذلك نجد عنده « وخصوا غلا في القول بالغلو لان لفظ فعول أقوى من لفظ فعال للواوين والضمتين وضعف الألف والفتحتين وذلك أن الغلو وفي القول أعلى واعني عندهم من غلاء السعر »(٢٧) وهكذا وجهت الواو والضمة لقوتهما المعنى نحو الغلو في القول لانه امر معنوي بعكس الالف والفتحة الضعيفتين فيوجدان في الغلاء الموجه للسعر ، مما سنجد له مثيلا عند يسبرسن في كلامه عن ضعف حرف العلة "I" ليعبر عما هو ضعيف وصغير .

ويتمادى ابن جني ويتوغل اكثر فاكثر في عقد الصلات بين جرس الحروف وترتيب الاحداث بناء على ترتيب اصواتها في الكلمة فهو يقول : « نعم ، ومن وراء هذا ماللطف فيه اظهر والحكمة اعلى واصنع وذلك انهم قد يضيفون الى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبّر عنها بها وترتيبها وتقديم مايضاهي أول الحدث وتأخير مايضاهي آخره وتوسيط مايضاهي اوسطه سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب »(٢٨) اذا تبنى احداث المعنى على ترتيب اصوات الحروف ، فكل معنى يتقابل مع صوت ، وتتابع احداث الفعل تبعا لتوالي الاصوات نحو : بحث : « فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكلف على الارض » وهذه اول مرحلة من مراحل البحث عن شيء قوبلت بالباء التي تحكي هذا الفعل بصوتها او بجرسها . « والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما اذا غارت في الأرض (٢٩) » وهذه المرحلة الثانية من مراحل البحث والتي تقابلها « الحاء » التي تصوّر بجرسها حركة اليد اثناء غوصها في التراب . واما المرحلة الثالثة وهي تحريك التراب وتفريقه هنا وهناك لابعاده فتعبر عنها الثاء في قوله : « والثاء للنفث والبث للتراب ، وهذا امر تراه محسوسا محصلا فاي شبهة تبقى بعده ، ام اي شك يعرض على مثله(٤٠) » وهكذا في تصوره للامر وثقته في تعليله تجعله يستبعد كل شك ، وينفي اي شبهة عنه بحيث اذا لم يتيسر لامرىء ان يقيس على منواله وان ينهج نهجه ولم يدرك ما ادركه » فأحد امرين اما ان تكون لم تنعم النظر فيه ؛ فيقعدبك فكرك عنه او لان لهذه اللغة اصولا واوائل قد تخفى عنا وتقصر اسبابها دوننا كما قال سيبويه او لان الاول وصل اليه علم لم يصل الى الاخر »(٤٠) .

ويبدو أن هذا الاتجاه العقلي الذي يسود فكر المعتزلة وكان له تأثيره الكبير على تفسير الظواهر اللغوية ؛ ليس على لغويي المعتزلة فحسب وانما على أصولييهم ايضا ، فقد سبق احدهم ابن جني في هذا التصوّر العقلي الا وهو عباد بن سليمان الصيمري(٤١) على ما يرويه السيوطي : « نقل اهل

(٢٤) الخصائص : ٢/١٥٧ — ١٥٨ .
(٢٥) السابق : ٢/١٦١ .
(٢٥) المحتسب : ٢/١٨ .
(٢٧) السابق : ٢/١٤٠ .

(٢٨) الخصائص : ٢ /١٦١ .
(٢٩) المرجع السابق : ٢/١٦٢ ، والصحل : البحة في الصوت .
(٤٠) السابق : ٢/١٦٤ .
(٤١) يعرف في المراجع الاصولية : بالضمرى ، وهو من الطبقة السابعة من المعتزلة من اتباع هشام بن عمرو الفوطي ، ربما تكون وفاته في حدود ٢٥٠ هـ ، يقال ان له كتبا وبدعا كثيرة. انظر في ترجمته كتاب : التبصير في الدين لابي المظفر الاسفرايني تعليق محمد زاهد الكوثري ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية : ط ١ ، ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م : ص ٤٦ ، ص ٨٢ .

اصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة انه ذهب الى ان بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية(٤٢) » وحجة عباد منطقية عقلية صرفة اذ يحتج لرايه بقوله : « لولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من الألفاظ بازاء معنى من المعاني ترجيحا بلا مرجح »(٤٣) .

فكأن الواضع بوضعه الالفاظ ازاء المعاني لم يضعها اعتباطا وانما اخذ يختار لكل لفظ معناه الذي يوحي به اصواته فترجح كفة هذا المعنى بازاء هذا اللفظ وهكذا .

وجمهور الاصوليين ضد مقالة الصيمري ويدللون على فساد رايه بقولهم : « ان اللفظ لودل بالذات لفهم كل واحد منهم كل اللغات ، لعدم اختلاف الدلالات الذاتية ، وان كان الواضع هو الله فتخصيصه الالفاظ بالمعاني كتخصيص العالم بالاتحاد في وقت من سائر الاوقات ، وان كان هو الناس فلعله لتعين الخطران بالبال (٤٤) » . هذا ما اورده من رده ورد الاصوليين على هذا المعتزلي . ويتابع السيوطي التعليق على هذا الامر في موضع آخر قائلا : « واما اهل اللغة والعربية فقد كانوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الالفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب ابن عباد ؛ ان عبادا يراها ذاتية موحية بخلافهم (٤٥) » يعني أن اللغويين يرونها مكتسبة اي ان الحروف أو الأصوات لم تختص في اصول وضعها لتدل على معنى معين يرتبط بها ولايفارقها ، ولكنها اكتسبت الايحاء بمعانيها ولكن ادامة استعمالها في هذه المعاني وكثرة تداولها وسماعها فيها خلق في روع اللغويين المناسبة بين الفاظ معينة ومعان معينة ، ولا يفوتنا ان نسجل ايضا انه كان بين اللغويين من يخلط ايضا بين المناسبة الذاتية والدلالة المكتسبة وخاصة في المشتقات . يقول د . صبحي الصالح : « وقد تكون مباحثهم (اي اللغويين) في انواع الاشتقاق وما اكتنفها من الغلو ... صورة من خلطهم ايضا بين الدلالة الذاتية والدلالة المكتسبة ، فكثير من قضايا الاشتقاق ردوه بلطف الصنعة الى ما يشبه القول

(٤٢) المزهر : ٤٧/١ . تحقيق محمد احمد جاد المولى ورفيقيه ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .
(٤٣) المرجع السابق : ص ١٧ .
(٤٤) السابق : ١٦/١ ـ ١٧ .
(٤٥) السابق : ٤٧/١ .

بالمناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله ، كأنما ودوا لو يتجاهلون ان الاشتقاق وضع لانه اخذ صيغة من اخرى فهو اجدر ان يكون ذا دلالة مكتسبة لا ذاتية ، متطورة لا اصلية منذ ان اكتسب بالوضع معنى جديدا متفرعا عن الاصل القديم »(٤٦) .

ومن الاصوليين من لا ينكر ان تتحقق المناسبة بين اللفظ ومعناه كالرازي (ـ ٦٠٦هـ) ولكنها ليست ذاتية شاملة وعامة في اللغة فهو يقول : دلالة الالفاظ على مدلولاتها ليست ذاتية حقيقية خلافا لعباد ... وقد يتفق في بعض الالفاظ كونه مناسبا لمعناه مثل تسميتهم القطا بهذا الاسم لأن هذا اللفظ يشبه صوته »(٤٧) .

وفي كتابه « بدائع الفوائد » يقرر ابن قيم الجوزية (ـ٧٥١هـ) بصورة جلية وواضحة تحقيق المناسبة بين اللفظ والمعنى بقوله : « والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولا وقصرا ، وخفة وثقلا ، وكثرة وقلة ، وحركة وسكونا ، وشدة ولينا ، فان كان المعنى مفردا أفردوا لفظه ، وأن كان مركبا ركبوا اللفظ ، وان كان طويلا طولوه، كالقطنط والعشنق للطويل ، فانظر الى طول هذا اللفظ لطول معناه وانظر الى لفظ بحتر ومافيه من الضم والاجتماع لما كان مسماه القصير المجتمع الخلق ، وكذلك الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوها تجد في الفاظها ماناسب مسمياتها . وكذلك لفظ الدوران والنزوان والغليان وبابه ، في لفظها من تتابع الحركة مايدل على تتابع حركة مسماها . وكذلك الدجال والجراح والضراب والافاك في تكرر الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرار المعنى ، وكذلك الغضبان والحيران والضمان وبابه صيغ على هذا البناء الذي يتسع النطق به ويمتلىء الفم بلفظه لامتلاء حامله من هذه المعاني ولايتسع المقام لبسط هذا ... فانه ينشأ من جوهر الحرف تارة ، وتارة من صفته ومن اقترابه بما يناسبه ، ومن تكرره ومن حركته وسكونه ومن تقديمه وتأخيره »(٤٨) . ولا يخلو كلامه من مبالغة

(٤٦) دراسات في فقه اللغة : ط ٢ : ، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
(٤٧) التفسير الكبير : ١/ص ١٢ . ط ١ ، المطبعة الشرقية، ١٣٠٨ هـ
(٤٨) بدائع الفوائد : ادارة الطباعة المنيرية ، مصر :ـ ١٠٨/١ .

حين يعقد صلة بين طول لفظ الكلمة وطول معناها ، وكذلك في تصوره للكلمة حجما بحيث تشغل الفم كله حين النطق بها حتى تناسب معانيها . وكان في ربطه بين الصيغ والابنية ومعانيها ناقلا ومتابعا لسيبويه وابن جني دون اشارة منه ؛ ويجعل الحرف بصفاته الصوتية ومايطرأ عليه من حركات وسكنات وتكرار وتقديم وتاخير اساس هذه المناسبة بين اللفظ ومعناه ، وهو لاشك مسبوق الى عقد هذه الصلات بين الحرف وصلته بالمعنى وخاصة من ابن جني .

ولانترك القرون الوسطى حتى نعرج على اوروبا المسيحية حيث نجد من يصرح بالمناسبة الطبيعية بين الاسماء والمسميات ، وهو المعروف في المراجع العربية بتوما اوتوماس الاكويني Saint Thomas Aquians (١٢٢٥-١٢٧٤م) ويتمثل ذلك في مقولته التي يزعم فيها : « ان الاسماء يجب ان تتفق وطبيعة الاشياء [٤٩] "Momina debent naturis rérum Congruere".

وتخبو مناقشة هذه العلاقة فترة زمنية طويلة ، وكأنها قد اصبحت من المسلمات لتظهر في القرن التاسع عشر الميلادي على يدي اللغوي همبلت Humboldt (-١٨٣٥م) الذي يصرح بتأييده للعلاقة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها وبذلك ينفض الغبار عنها ؛ ويضعها تحت الأنظار للمناقشة مرة اخرى حيث يقول : « ان اللغة تدل على الاشياء بالاصوات التي تارة بنفسها ، وتارة اخرى بالمقارنة مع غيرها تترك انطباعا في الاذن مماثلا للتاثير الذي تتركه الاشياء على العقل ولكن همبلت نفسه يبدى تحفظا في قوله : ان هذه الرمزية او المناسبة الطبيعية تظهر في الالفاظ ولكنها في وقت ماتبدو غامضة [٥٠]» .

وتصريح همبلت بأن هذه العلاقة على مر الايام قد تختفي وبالتالي قد ياتي عليها يوم تبدو فيه غامضة سهل مهمة معارض هذه العلاقة فيتصدى مادفيج Madfig (- ١٨٤٢ م) لها ويبرهن على فسادها : « بأن اورد مئات من كلمات الفصيلة الهندية الاوربية تناظر في معناها تلك الكلمات التي استدل بها همبلت وتخالفها »[٥١] قال مادفيج : « اننا لو قارنا اربع كلمات مما استشهد به همبلت سيبدو لنا خطاه الفادح »[٥٢] . كذلك نيروب Nyrob « في معالجته لهذه المسألة يكرر اعتراض مادفيج بان الاسم نفسه يمكن ان يدل على موضوعات متنوعة ، والموضوع نفسه يمكن ان يشار اليه باسماء مختلفة وان دلالة الكلمات دائمة التغير »[٥٣] ويدافع عنه يسبرسن قائلا : « مع انه من بين الكلمات التي اوردها همبلت ما هو مشكوك فيه فان ذلك لا يؤثر على الحقيقة العامة التي يناضل من اجلها وهي ان شيئا مثل المناسبة الطبيعية (الرمزية الصوتية) في بعض الكلمات » . ثم يتابع يسبرسن مؤكدا الفكرة نفسها قائلا : « يكاد يستحيل علينا ان نثبت المناسبة الطبيعية بين الدلالة والصوت في كل الكلمات ، وفي كل اللغات في كل الاوقات ، ولكن الاصوات ايضا في بعض الحالات يكون رمزا لمعناها وان لم يكن في كل الكلمات » .

وبعد همبلت ومادفيج يتصدى للمسالة اللغوي الامريكي ويتني Whitney (١٨٢٧ - ١٨٩٤ م) حيث يرفض ان تكون العلاقة بين الصوت والمدلول طبيعية بل هي اعتباطية ويقول : « ان الدالة Sign ترتبط بالمفهوم الذي تدل عليه بالاصطلاح Conventional ، والارتباط بينهما ذهني فقط . ولو كان الارتباط طبيعيا natural او داخليا Internal او لازما Necessary لوجب ان يتبع كل تغير في المفهوم تغير في الدليل »[٥٤] .

وفي اوائل القرن العشرين ترجع كفة معارضي الربط الطبيعي بين اللفظ ودلالته وذلك على يدى اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣) في محاضراته التي نشرها تلاندية سنة ١٩١٦ في كتاب يحمل عنوان Course in General Linguistics الذي يرى فيه

---

(٤٩) فندريس ، اللغة : تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠ م : ص ٢٣٥ .

(٥٤) The Life and Growth of Language : Henry King & Co. London, 1875 : P. 48.

ان : « العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية Arbitrary ؛ وببساطة استطيع ان اقول ان العلامة اللغوية (Signific) Sign جزافية ولاعلامة لها بذاتها ومايمكن ان تدل عليه الابالاتفاق والاصطلاح Convention . ومع تصريحه الذي لاموازبة فيه لم ينكر ؛ بل اعترف « ان هذه الاعتباطية يعترضها ما يمتنع عن المطاوعة »(٥٥) .

الاعتراض الأول : ان الكلمات المحاكية للاصوات Onomatopoeia يمكن استخدامها في البرهنة على ان الدال (اللفظ) ليس دائما اعتباطيا (اي يمكن ان توحي اصواتها بمعانيها) . ولكنه يحاول ان يحد من شأنها فيقول : انها لاتمثل عنصرا عضويا في النظام اللغوي الصوتي الى جانب ان عددها اقل بكثير مما هو متوقع . وليبرهن على ذلك بضرب مثلا بالكلمتين الرئيسيتين : Whip « سوط» و bell «ناقوس» يمكن ان تقرعا اذانا معينة بأصوات موحية ؛ ولنتبين ان هذه الخاصية ليست لها منذ وضعها علينا ان نفحص اصولها اللاتينية فكلمة Whip مشتقة من « شجر الزان » و bell مشتقة من « صوت البرق » ؛ فالقيمة الصوتية التي تعزى لهما الآن ناتجة عن تطور صوتي عرضي عبر الزمن » .

ثم قائلا : «وبالنسبة للكلمة الاونوماتوبية التي لاشك فيها هذه ليست محدودة في عددها فقط ولكنها ايضا مختارة اعتباطا لانها متقاربة . وليس اكثر او اقل من تقليد مقنع لاصوات معينة . بالاضافة الى انها ظهرت في اللغة امتدادا لهذا التطور الصوتي ؛ والصرفي » .

الاعتراض الثاني : الاصوات الانفعالية يقول عنها : « لها ارتباط شديد بالاونوماتوبيا ولكنها اشد صلابة بحيث تقترب من تفنيد نظريتنا القائمة على جزافية العلاقة بين الدال والمدلول ؛ انها تقوى ان ينظر اليها على انها تعبيرات حقيقية بفعل قوى الطبيعة ؛ ومع ذلك يمكننا ان نثبت على انه ليس هناك علاقة ثابتة بين الدال والمدلول ؛ وذلك بان نقارن هذه الصيحات في لغتين نتبين التفاوت في هذه التعبيرات من لغة لاخرى .

ونحن نعرف اكثر من هذا بان كثيرا من الاصوات الانفعالية كانت في وقت ما كلمات بمعان خاصة .

وخلاصة الامرانه قد يثبت وجودها ثم يسحب البساط من تحتها فلا تقوى على الوقوف فتتهاوى فيكون لا اعتبار لها ؛ وبعد دى سوسير « اصبح علم اللغة المعاصر يأخذ بان العلاقة بين الاسماء والمسميات ومسمياتها علاقة اصطلاحية او اختيارية ولا شك في ان ذلك تفسير عقلي تحاول به المناهج الحديث اسقاط منجزاتها على مافات من نظرنا »(٥٦) .

ولكن من اللغويين من سلم تسليما كاملا باراء دي سوسير واخذ يحتج على صدق هذه النظرية على طريقته الخاصة وهم ليسوا قلة مثل سابسير Sapir (١٨٨٤ – ١٩٣٩) الذي يقول : « ان الكلمات التي تبدو تقليدا للطبيعة مثل : To Caw (صوت الغراب) To Mew (يموء ؛ صوت القط) ؛ Whip poorwill (طائر له صيحة مثل اسمه)(٥٧) ليست باي معنى من المعاني اصواتا طبيعية ينتجها الانسان بصورة غريزية او تلقائية ، انها من خلق العقل الانساني ومن تخيله ، كاي شيء آخر في اللغة »(٥٨) .

ومنهم أيضا « هياكاوا » Hayakawa الذي ينافح بشدة ضد الدلالة الصوتية الطبيعية بقوله : « ليس هناك ارتباط ضروري ولازم بين الرمز ومايرمز اليه ، تماما كالرجال الذين يلبسون زي البحارة دون ان يقتربوا من يخت طول حياتهم . ويمكنني أن اقول I'm hungery « انا جائع» دون أن أكون جائعا ... كذلك يمكن الرمز الى انني جائع بكثير من الاصوات المختلفة حسب اللغة التي نستعملها ؛ نحو : J'ai faim بالفرنسية ، وبالالمانية يمكنني ان اقول Es hungert mich:

(٥٥) انظر الكتاب : PP. 67 - 70.

(٥٦) اللغة بين العقل والمغامرة : ص١٠١ ، منشأة المعارف . الاسكندرية ١٩٧٤ م .

(٥٧) طائر يطير في الغسق او الليل ذو ريش مختلف الالوان .

(٥٨) Language : HarCourt, Prace and Company, New York, 1921 : P: 7.

ويمكنني ان اعبر بلغات اخرى ، وسيبدو لنا واضحا ولاول وهلة انها ، في الواقع ، لايكون اي منها دليلا على الجوع »(٥٩) .

وروبرت هول R. Hall وادجار سترتفنت E. Sturtevant كلاهما يردد مقولة واحدة في الدفاع عن هذه النظرية ويستعملان الامثلة نفسها . وان كان الكلام عند الاول اوضح وسنورده لان فيه غناء حيث يقول : « ان معنى كل صيغة لغوية اعتباطي تماما ، وليس هناك اي ارتباط ضمني ولا اية علاقة تلازمية بين اي صوت لغوي وما يدل عليه ولناخذ مثلا على ذلك « الكلب » الذي يشار اليه بالانجليزية بكلمة Dog وبالفرنسية Chein وبالالمانية Hund وبالهنغارية Kutya وفي الروسية Cobaka وتلفظ Sabaka وفي الارمنية Sun . (ويزيد عليه سترتفنت في كتابه « مقدمة في علم اللغة » بأنه يطلق على الكلب في اللاتينية Canis وفي اليونانية Syon) وهكذا وانطلاقا من نظرة منطقية بحتة لايوجد اية علاقة بين هذه الاصوات وبين الكلب الاليف الذي تدل عليه، والامر لا يعدو كونه اتفاقا جماعيا.ان معنى الكلمة يقرر عن طريق عرف المتكلمين باللغة ، وان استعمالنا للكلمات في معانيها ليس اكثر من عادة نتلقاها عمن سبقنا »(٦٠) . وفي موضع آخر من الصفحة نفسها يضرب مثلا آخر عكس الحالة السابقة اي أنه يأتي بكلمة واحدة ولكنها تستعمل في لغات مختلفة بمعان مختلفة حيث يقول متابعا:«ومن ناحية اخرى ان اللغات المختلفة تستعمل نفس الاصوات بدلالات مختلفة تماما عن بعضها بعضا فالكلمة الانجليزية Do فعل بمعنى يعمل وفي الفرنسية Doux ينطبق كالانجليزية Do تقريبا ولكنه صفة بمعنى « الحلو » وفي الالمانية Du ضمير بمعنى « انت » .

ويسبرسن Jespersen من اللغويين الذين اسلفنا انهم يرون استحالة اثبات المناسبة الطبيعية بين الصوت والدلالة في كل الكلمات وفي كل اللغات في جميع الاوقات ، ولكنه لاينكر هذه العلاقة البتة حيث يراها متمثلة في بعض الاصوات التي ترمز لمعناها . والنواحي التي يلحظ فيها يسبرسن(٦١) الصلة بين الصوت والمدلول هي :

(١) التقليد المباشر للاصوات التي تعد بمثابة المحاكاة لاصوات الطبيعية كالتي تصدرها الادوات المعدنية مثل Clink «خشخشة» او Clang «طنين» و Clank « قعقعة » وصوت المياه Splash «الرش والطرطشة» و Sizzle « صفير أو ازيز » و Bubble «خرير المياه» ، واصوات الحيوانات مثل Roar « زئير الاسد » و Bleat ثغاء الغنم وكذلك الاصوات الانسانية Sneeze «العطس» و Snore « الشخير و Snigger « نخع الضحك » و Whisper « صفير » و Smack « تلمظ او تمطق » . و Grunble « تأفف وتضجر » . وغير ذلك مما يمكن أن نسميه الاصداء Echioms ، او انوماتوبيا Onomatopoeia .

(٢) ان الصوت الطبيعي يمكن ان يطلق على مصدر الصوت نفسه أو على الذي يصدر منه هذا الصوت مثل الفرنسيين للانجليزي : A God-damn «لعنة الله»لان هذا التعبير دائر على السنة الانجليز فاطلقه الفرنسيون عليهم . وخلال حروب نابليون كان يسمى الفرنسي في اسبانيا Didones والاستراليون يسمون الفرنسيين شعب الـ Wi-Wi . واليابانيون يسمون شعب H-to . ويسمى طائر الكوكو Cuckoo بالصوت الذي يصدر عنه ، فاطلق عليه .

(٣) من الطبيعي أن يعبر بالكلمة عن الصوت الذي يصدر عن بعض الحركات لاغير نحو : Bang the door «اطرق الباب بعنف» او Tap the door او Rap «اقرع بخفة»

(٥٩) Language In Thought and Action : George Allen & Unwin Ltd., London 1952 : P. 27.

(٦٠) Hall (Robert A.) : Introductory to Linguistics, Motilal Banarsidass Delhi-India-1969 : p. 229.

(٦١) Language Its Nature, Development, and Origin : P. 398-404.

كذلك هناك صلة طبيعية بين الفعل والصوت في الكلمة الانجليزية Tickle «وخز خفيف، او دغدغة» .

(٤) هناك صلة طبيعية بين النغمات العالية (الاصوات ذات الذبذبة العالية) والضوء، وبالعكس بين النغمات المنخفضة والظلمة. كما ان الحرف "I" يترك احساسا بانه اكثر ملاءمة لكلمة Light «الضوء» والحرف "U" لكلمة Dark «الظلمة» . ويبدو الامر اكثر وضوحا بمقارنة Gleam «وميض» و Glimmer «بصيص» و Glitter «لمعان» بكلمة Gloom «ظلمة» في قولنا :

The Gloom of night relieved only by the gleam from street-lamp.

« لم يخفف من ظلمة الليل الا سطوع مصباح الشارع » .

(٥) لايبعد ان تناسب الكلمات الحالات العقلية والنفسية نحو :

Gloom التي تعني الظلمة فيمكن استعمالها لتعبر عن الغموض والابهام وقد مثل دودين Dowden لذلك بقوله

The good news was needed to cast a gleam on the gloom that encompassed Shelly.

«لقد كانت الحاجة ماسة للاخبار الطيبة لتسلط الضوء على الغموض الذي احاط بشلي» . ويمكننا، على حد قوله، اعطاء قائمة طويلة من التعبيرات الرمزية عن الكراهية والنفور والمهانة .

(٦) يرجع مرة ثانية الى حرف العلة "I" الذي راى فيه رمزا للضوء كذلك في رايه انه بضيقه المتنوع Narrow ولينه Thin يمكنه، بشكل خاص، أن يعبر عما هو صغير وضعيف او عما هو مهذب ورقيق فقد وجد في كثير من هذه الصفات في لغات مختلفة وفي كلمات عدة للاطفال ولصغار الحيوان نحو : Child في الانجليزية، و Kind «طفل» في الالمانية .

(٧) الصيغ القصيرة والمبتورة اكثر مناسبة وملاءمة من الطويلة لتعيين الحالة النفسية والعقلية ؛ والشخص قد يستعملهما كليهما للطلب والأمر او للاستغاثة او الاستعطاف والتوسل . وفي اللغات الاخرى التي ليس لها سوى صيغة واحدة للامر يشفعون طلبهم بنغمة ناعمة او باضافة كلمة نحو : Please في الانجليزية، و Bitte في الالمانية .

وتطويل الكلمات بمقاطع مشتقة لامعنى لها في حد ذاتها قد يعبر عن حالات عاطفية ونفسية : كتطويل الاصوات المنفردة وتقويمها تحت تأثير المشاعر القوية من اجل تكثيف التأثير للكلمة الملفوظة كقولنا :

It's very cold بنطبق "O" بشكل مطول أي بمدها .

واما فندريس Vendryes فهو حائر، فبعد ان يقول : «من الحمق أن نحكم بوجود علاقة ضرورية بين الحرفين ف ل ــ F L مجتمعين وفكرة السيلان اذ ان الكلمات Ruisseau «مجرى» و Riviére «جدول» و Torrent «سيل» التي تعبر ايضا عن فكرة السيلان بقدر ماتعبر عنها كلمة Fleuve «نهر» لاتحتوي على مثل هذين الصوتين، وان كلمة Fleur «زهرة» التي لاتكاد تتكون الا من هذين الحرفين أيضا لاتوقظ في الذهن اطلاقا فكرة السيلان»(٦٢) نجده بعد ذلك لايستطيع التغاضي عن الكلمات التي يستشعر فيها وضوح العلاقة بين اصواتها وماتوحي به من معان فيذكرها متابعا : « ولكن من الحق ان كلمة Fleuve «نهر» معبرة لان الاصوات التي تكونها صالحة تمام الصلاحية لاثارة الصورة التي تمثلها . فالواقع أن هناك بين الاصوات ومركبات الاصوات فروقا في القدرة التعبيرية وهذا هو سر الكلمات التي تعبر باصواتها عن معناها Onomatopées فالكلمة الالمانية Kladderadatsch تمثل جيدا مجموعة من الانية بعضها فوق بعض وقد سقطت شظايا، والكلمة الفرنسية Pata Pouf تمثل كيسا محشوا بالملابس يسقط على درج السلم وكلمة Pan « بن » تثير الصوت الجاف الذي يصدر من طلقة مسدس، و Poum ذلك

(٦٢) اللغة : ص٢٣٦ .

الصدى الممتد الذي ينبعث من طلقة المدفع وكل الموسيقيين يعرفون ان النغمات المختلفة تناسب التعبير عن الاحاسيس المختلفة ان قليلا وان كثيرا ؛ فهذا السلم اليق من غيره ببساطة الحقول ، وذلك بالعذوبة الرقراقة اللذيذة ، وذلك يجهد الرجولة الصادق ... كذلك فن الشاعر يستطيع أن يحمل اصوات الكلمات كل تعبيرية تروق الكلمة الخالقة للفكرة تصير بعناصرها الصوتية خالقة للبيت من الشعر »(٦٣) . وهكذا نستطيع ان نقول انه يراوح بين المكانين فيرى في ربط الاصوات بمدلولات معينة مرة حمقا ، ومرة اخرى يحتج لهذه النظرية ويحاول جهده اثباتها بالشواهد التي يذكرها بل ان الامر اصبح عنده اشبه بالنغمات الموسيقية التي تتنوع لتعبر عن الاحاسيس المختلفة والكلمات بعناصرها الصوتية تستطيع ان تقوم بالوظيفة نفسها ، ويبدو انه مقتنع بالفكرة ولكنه « لايريد ان يخرج على راي دي سوسير »(٦٤) .

واما فيرث Firth ابو المدرسة اللغوية الانجليزية الحديثة فقد اشار الى ظاهرة سماها « الوظيفة الفوناسينيتيكية للاصوات » في كتابه «دراسات في علم اللغة» Phonaesthetic Function

ويعني بها : « مايلمح بوضوح من وجود علاقات تظهر بين الكلمات التي تبدأ بحرفين متجانسين او اكثر وبين بعض الملامح العامة المميزة لبعض السياقات اللغوية »(٦٥) . ويمثل لذلك بالكلمات التي تبدأ بحرفي ST : نحو :

(١)
Stand, Stiff, Stick, Stack, Stake, Stuck, Still, Stub, Stud, Stump, Stem, Stay, Stare, Stain.

(٢) او كلمات تبدا بحرفي S N ، نحو :
Snack, Snag, Snib, Snub.

ثم يقول في احدى محاضراته « وهناك نوع من التقسيم أحس به ولااصر عليه وراء الكلمات التي تبدأ بالحرفين S L ، نحو :
Slink, Slim, Slight, Slide, Slike, Slice, Slicher, Slender, Sleet, Slip, Sleek, Slit.

ويستطيع المرء ان يسلي نفسه بجمع الكلمات التي تبدا بالحرفين "el" او "Str" او "Spr"

(٦٣) المرجع السابق .
(٦٤) الانطاكي : الوجيز في فقه اللغة : ص ٢٧٧ . دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .
(٦٥) Papers In Linguistics : Oxford University Press London, 1957 : P. 44.

وهلم جرا ، فربما وجد شيئا شائعا بينهما لايهمني هنا أن أنص عليه . وتبدا تسعون كلمة في الهندية بالحرفين S L كلها للشتم والاهانة ، وقد استعير بعضها في اللغة الجاوية فبدأ بالحرفين S E ، وهذا يستدعي الى الذهن ان تقسيم الكلمات ، بحسب اثرها الذهني ، شائع في اللغات الجرمانية ، وربما كان هناك صلة بين الصوت والشكل »(٦٦) .

فالاستاذ فيرث يستشف بين الكلمات التي تبدأ بحرفين متجانسين علاقة ما وهي أقرب ماتكون الى الصلة الطبيعية بين اللفظ وشكل المدلول عليه ، فاصوات معينة قد يكون لها دلالة على شكل معين ، ولكنه ينبه الى هذا الامر بحذر ودون اصرار فهو قد لايصل الى مرتبة الظاهرة العامة الثابتة التي تصدق على كل الكلمات ذات الملامح المتماثلة المبدوءة بحرفين متجانسين .

اذا فهي ملاحظات عابرة يلقي بها فيرث بحاجة الى اختبارها والتحقق منها حتى تكتسب صفة الفرض العلمي . ولم لانجرب فنتعرف على معاني الكلمات التي استشهد بها ، ونرى مدى مطابقة صوتها لشكلها او لشكل ماتدل عليه :

ونبدأ بالكلمات المبدوءة بالحرفين S L :

Slice «شريحة» ، Slide «منحدر ، مزلق» Slight «استخفاف» و Slim «رقيق ، نحيف» ، و Slink «الذي يمشي مخفيا نفسه خوفا » ، و Slit «شرخ او شق طولي» و Sleet «مطر مصحوب بالبرد» Slender «نحيل» وبشيء من التجاوز والتأويل نستطيع ان نقول : يجمعها الشكل الذي يغلب عليه الطول والنحافة .

اما الكلمات المبدوءة بحرفي S T فهي :

Stack «كدس» ، Stain «وصمة ، لطمة» ، Stand «ركيزة» ؛ Stake «خازوق» Stare «حملق» Stay «دعامة ، سند» Stem «منع وعارض » Stick «عصا ، سنّد بعمود » Stiff «شديد ، صلب» Still «ساكن» ، Stock «عمود ، ساق » ، Stub ارومة شجرة ، عقب» Stud «اسطبل خيل» Stump «تحدّى ، اعاق ، ارومة شجرة » .

(٦٦) د . تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، ص ٢١٧ . مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٥ م . عن محاضرات فيرث العام الدراسي ١٩٢٨ — ١٩٢٩ م .

واقرب شكل يمكن تصوره يجب ان يتوافر فيه الطول والثبات والصلابة . وهكذا وعلى طريقة ابن جني التي تتصور لتقاليب الجذر معنى جامعا يخمن فيرث او يحس بحذر علاقة طبيعية بين الالفاظ وشكل ماتدل عليه .

واما ستيفن اولمان Ullmann فيمارض فكرة الربط بين الاصوات والمدلولات ويردد تقريبا ماقاله دي سوسير حيث يقول : « لايوجد في اللفظ ما ينبيء عن المدلول فبالاضافة الى عدم وجود اية علاقة ظاهرة بين الكلمة وماتدل عليه هناك شيئان يمارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بينهما الشيء الاول : يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة . والثاني : يتبلور في الحقائق التاريخية ؛ فلو كانت معاني الكلمات كامنة في اصواتها ، لما امكن ان تتغير في لفظها ومدلولها تغيرا يستحيل ربطه بالوضع الاصلي لها»(٦٧) وبعد ذلك يسلك مسلك فندريس على نحو ما ، اذ يبدأ بذكر الفاظ لاصواتها قوة في التعبير عن مدلولاتها مثل : «قهقهة وهي كلمة معبرة ووصفية الى حد مابالصيغة نفسها والاصوات فيها دليل من دلائل المعنى ، وفي استطاعة الاجنبي الذي لايعرف مدلول هذه الكلمة ان يخمن هذا المدلول تخمينا دقيقا الى حد ما ، كذلك «تمايل» تترجم للحركة ترجمة بيانية دقيقة بوسائل صوتية » فهو لاينكر هذه العلاقة انكارا تاما بل يراها متحققة في الفاظ كثيرة ، ومما يدل على ذلك انه يذكر شواهد شعرية ومسرحية لكتاب تمكنوا في تصوره من توظيف الكلمات للايحاء بالمعاني ولمحاكاة الاحداث حيث يقول : « وفي اماكن كثيرة قد تستغل الاصوات الموحية بمعانيها او المحاكية للاحداث المعبر عنها استغلالا يقصد به الى احداث التأثير الدرامي كما في البيت التالي من رواية اندروماك لراسين حين يسمع «اورست» فحيح الافاعي في الهواء وقد اصابته لوثة من الجنون فيصيح :

Pour qui sont ces serpents qui sifflent sur vos têtes.

«لاجل من هذه الافاعي التي تفح فوق رؤوسكم ؟ ! » (٦٨) .

وبعد ان يذكر اقوالا وافعالا اخرى تثبت هذه العلاقة كصنع الشاعر الفرنسي الرمزي رمبو Rimbaud بربطه بين اصوات اللين والالوان ، يتراجع اولمان ويتذكر ماقاله شكسبير على لسان جولييت : «ماذا في اللفظ ؟ ان ماتسميه وردة سوف يحتفظ برائحته الزكية فيما لو سميناه باسم آخر (٦٩)» وبعد رحلة يقطعها مع يسبرسن وربطه بين حرف العلة "I" وبين تعبيرها عن الصغر والقلة ، وما سماه فيرث بالوظيفة الفوناستيتيكية للاصوات نراه يكابر ويظهر عدم قناعته بالفكرة قائلا: «من المهم ان نعرف ان اللفظ بنفسه لايكاد يعمل شيئا في هذا الشأن ، ومن الممكن ان نوضح هذه الحقيقة بدراسة امثلة المشترك اللفظي كالفعل الانجليزي "To ring" بمعنى يرن له قوة تعبيرية وايحائية واضحة في نحو : A ringing Voice «صوت رنان» . ولكن ما يشترك معه في اللفظ وهو Ring بمعنى خاتم ليست له هذه القوة ، اذ لايوجد اي اشتراك في الخصائص بين الصوت والمعنى في هذه الحالة»(٧٠). وكانه يريد ان يقول ان الاصوات ليست لها دلالة ذاتية على المعاني ، وانما هذه الدلالة تكتسبها الالفاظ مع طول استعمال الانسان لها رابطا بينها وبين خصائص المعاني التي تدل عليها . اذا فهو لم يتصلب على نحو مافعل دي سوسير الذي اراد ان ينفي العلاقة الذاتية بين الرمز ومايدل عليه بتفنيده لكل مايعترض الجزافية من انوماتوبيا واصوات انفعالية ، ولم تسحره الامثلة والشواهد التي توضح او يمكن ان تثبت العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول كما حدث مع فندريس الذي تراخى عن تحديد رايه ، ولاتفسير لهذا الا انه يقف موقفا وسطا بحيث لم ينكر هذه العلاقة بل يحس انها تتوافر وتصدق على جزء بسيط من الكلمات ، ولكنها اي هذه العلاقة في الوقت نفسه ليست القاعدة العامة التي تحكم مفردات اللغة جميعها . لذلك نراه يجند نفسه للرد على من يحاول ان يثبت هذه القيمة التعبيرية للاصوات والربط الدائم بين جرس الفونيمات ودلالتها كالمحاولة التي قام بها احد فلاسفة اللغة الهولنديين وهو بوز H. G. Pos الذي : « قام بمحاولة منذ سنين قليلة لسد الثغرة بين علم الاصوات Phonology وعلم الدلالة Semantics وصرح بان علم

(٦٧) دور الكلمة في اللغة : ص ٧٠ ـ ٧١ ، ٧٢ . ترجمة الدكتور كمال بشر ، ط ٢ ، ١٩٦٢ م .
(٦٨) المرجع السابق : ص ٧٦ .

(٦٩) السابق : ص ٨٣ .
(٧٠) السابق : ص ٩٢ .

الاصوات قد أقام الصلة بين الاصوات والدلالة بحيث يمكننا أن نعتبر الاول منهما (يعني علم الاصوات) مدخلا للدلالات وليس قسماً ثانويا وعلم الاصوات قد اكتشف القيمة الفريدة لاصوات الكلام، والانتقال من الفونيم الذي يدل على نفسه بنفسه ، الى الكلمة التي تدل على شيء آخر ليس انتقالا كبيرا ، اذا وضع المرء في اعتباره بدءا أن الكلمات تتألف من فونيمات خصوصا ان المعاني التي تنشأ من ضم الكلمات في تركيبات تامة (يقصد جملا) تختلف تماما عن معاني الكلمات في حال انفرادها»(٧١).

يستفاد من عرضه لراي بوز Pos ان بوز هذا بجعله دراسة الصوتيات مدخلا لعلم الدلالة يرمي الى اثبات القيمة التعبيرية للاصوات او الفونيمات وقد بينا ان ابن جني اللغوي العربي قد سبقه الى ذلك . واقامة علاقة ذاتية للصوت بالمعنى محل اعتراض من قبل اولمان وغيره من اللغويين . ولكن الذي يتصدى لتفنيدها اولمان في كتابه « مبادي علم المعنى » حيث يقول متابعا : « ويمكن توجيه النقد لما قاله بوز من جوانب ثلاثة هي :

اولها : القول بأن الفونيم له دلالة ذاتية على نفسه فيه تناقض ، لانه لا دلالة دون ان يكون هناك دال ومدلول عليه .

ثانيها : أن تصور ان تكون الكلمات مكونة من فونيمات : لا يكون الا من الناحية الشكلية فقط ، فالكلمة Table تتألف من عناصر صوتية متتابعة ولاصلة لكلمة Mensa (المائدة) بهذه العناصر (اي العناصر التي التي تؤلف كلمة Table) .

ثالثها : ينصب على اعتبار معنى الفونيمات له صلة بمعاني الكلمات كتلك الصلة بين معاني الكلمات ومعاني الجمل المكونة منها : لان ذلك مغالطة واضحة ، اذ ان كلمة Table وجملة The table is round كلتيهما تعنيان شيئا اي لهما دلالة بينما الفونيمات المنفردة t.a.b. ليست لها دلالة مطلقا (٧٢) » .

وخلاصة الامر ان دور هذه الفونيمات يتمثل ، على حد قوله ، في بناء الكلمات من الناحية الشكلية فقط ولا تتجاوز ذلك الى التدخل في المعنى. والحقيقة ان هذه مبالغة لامبرر لها قد نتفق معه في انه لادلالة ذاتية للفونيم على نفسه ، مع أن ذلك يخالف راي كثير من اللغويين العرب وعلى رأسهم ابن جني من القدماء والعلايلي من المحدثين ، ولكننا لانتفق معه مطلقا في انكاره الدور الذي يلعبه الفونيم في توجيه معنى الكلمة وتباينه مع معاني كلمات اخرى ، وكما يحدث في المزج الكيماوي اذ يترك العنصر اثرا في المركب مهما كان بسيطا كذلك التركيب اللغوي لابد أن يكون لعناصره تمثيل ولو على ادنى مستوى . ويشهد لنا ماذكره اولمان نفسه من قول الاستاذ جاكوبسن Jakobson من : « ان الفونيم يشارك في الدلالة ولكن ليس له دلالة في حد ذاته ، ووظيفة الفونيم في الوحدة اللغوية للدلالة على ان لهذه الوحدة معنى آخر يختلف عن معنى اي وحدة مماثلة لها (٧٣) » فجاكوبسن لاينكر مشاركة الفونيم في الدلالة بل يثبتها وينفي الدلالة الذاتية عنه . مع أن جاكوبسن يتكلم عن الدلالة الصوتية المطردة للفونيمات .

وينسب الدكتور مندور(٧٤) اعتراضين آخرين لاولمان وهما :

اولا : اذا كانت الكلمات التي يشعر فيها النظام الصوتي بنوع من المحاكات لاصوات الطبيعة (Onomatopoeia) اولصيحات الانفعال Exclamation يقدم سندا لنظرية بوز Pos فلابد من ادراك ان هذه المحاكاة تخضع لنوع من الاتفاق النسبي او لنقل المحاكاة الجزئية ومن ثمة فهي تتغير من لغة الى اخرى ومن جيل الى جيل وهذه النسبة تحول دون قيام افتراض علمي ثابت .

والحقيقة ان هذا الافتراض لم يستطيع اولمان نفسه انكاره وقد اثبته لكثير من الالفاظ ، مما يجعل احتمال هذا الافتراض قائما .

الثاني : يجمع بين بعض سمات اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، ذلك ان هذا الاعتراض يقف مع بعض الظواهر الصوتية التي تميل الى حذف اجزاء من بنية الالفاظ ، ومن ثمة فهو اعتراض

---

(٧١) Ullmann (Stephen) : The Principles of Semantics, PP. 31-32.

(٧٢) Ullmann (Stephen) : The Principles of Semantics, PP. 31.-32.

(٧٣) Ibid : P. 32.

(٧٤) انظر كتابه : اللغة بين العقل والمغامرة : ص ١٣٠ - ١٣١ .

على فكرة ايحاء الفونيمات بأجزاء من الدلالات ويتحرك الاعتراض قدما ليحول دون محاولات تعريف اللفظ بأنه تتابع لمجموعة من الاصوات ففي الانجليزية مثلا حشد من الكلمات يفقد اجزاءها او بعضا منها مثل : She'll ' Don't ومع ذلك فان الدلالة تبقى كاملة .

والحقيقة ان هذا الحذف يمكن اخذه من وجهه نظر اخرى مخالفة فيكون شاهدا لبوز وليس مفندا لرايه اذ مع حذف بعض الاصوات او حتى صوت واحد يبقى له الاعتبار والتأثير فلا يتغير المعنى كالحذف الذي يحدث في العربية حين ناخذ فعل الامر من : وقى ورأى ووفى تقول : ق ، ر ، ف ومع ذلك يفيد كل حرف معنى الفعل الذي يمثله مع حذف اكثر اجزائه » .

وفي اواخر القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن كان الاتجاه الغالب للغويين العرب هو القول بالصلة الوثيقة بين الصوت والمعنى . فنرى الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٨م) ، على اساس ان كثيرا من الالفاظ انما ينشأ عن محاكاة الانسان لاصوات الطبيعة ، يتكلم عن العلاقة بين الحرف ومايرمز اليه من معنى ويتناول الحروف واحدا منها على المعاني التي يوحي بها كل حرف وذلك في قوله : « فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو البراح والابطح ... ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو الفرهد والاملود ، والميم القطع والاستئصال والكسر نحو ، أزم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخضم »(٧٥) فكان هذه هذه الكلمات تجتمع على هذه المعاني بسبب وجود الميم فيها ، او ان الميم قد صبغت الكلمة بهذه الدلالة وقد سلف ان بوز Pos قد قال بهذه القيمة التعبيرية للفونيم . ويقول الدكتور خلف الله معلقا ايضا : « وعلى اساس الصلة بين الحرف والمعنى . كان الاقدمون يقولون بأن الكلمات التي تكون فاؤها وعينها من اصوات واحدة تكون معانيها متشابهة او متقاربة (٧٦) » وهذا ماسماه فيرث بعد ذلك بالوظيفة الفوناستيتيكية في الكلمات التي تبدا بحرفين متشابهين فانها توحي باشكال متشابهة .

واذا كان الحرف عند الشدياق يوحي بدلالة الكلمة ، فان الحرف عند جورجي زيدان ينوع المعنى الاصلي للكلمة التي تشترك مع الفاظ اخرى « بحرفين هما الاصل المتضمن المعنى الاصلي ، والزيادة (اي الحرف الزائد على الاصل) ربما تنوعته تنويعا طفيفا مثاله : قط وقطب وقطف وقطع وقطم وقطل جميعها تتضمن معنى القطع الا ان كل واحدة منها استعملت لتنوع من تنوعاته ، والاصل المشترك بينها قط وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لايخفى »(٧٧) ولايقف زيدان عند هذا التنوع نتيجة لزيادة حرف في اخر الكلمة وهذا هو الاغلب في نظره بل يتمادى ويتابع قائلا : «الا انه قد يكون «الحرف الزائد» في الوسط اي بين الحرفين الاصليين كشلق من شق وفرق من فق ، وقرص من قص ، وقرض من قض .. وقد يكون في اول الكلمة نحو : رفت من فت ولهب من هب ورفض من فض ولمس من مس » .

ونمضي قدما لنجد ان نظرية جديدة قد انبثقت على اساس من كلام الشدياق وزيدان او كأن ما قالاه كان مقدمة او بذرة لنظرية جديدة في الاشتقاق العربي نادى بها الاب مرمرجي الدومنيكي وهي ثنائية اصول الكلمات العربية بدلا من ثلاثيتها الراسخة التي يقول فيها : « الثنائية Bilitteralisme هي النظرية القائلة بأن الاصول في العربية - وكذلك في اخواتها السامية - ليست الفاظ ذوات الحروف الثلاثة بل ذوات الحرفين ، اذن من شأن الثلاثيات ان ترد الى الثنائيات »(٧٨) وعلى اساس هذه النظرية يرى ان الالفاظ العربية كأخواتها السامية من اصل ثنائي ، والثلاثي يجب ان يرد الى الثنائي وفي نظريته التي اخذ يطبقها على الكلمات العربية راى ان كل كلمة لابد ان تكون من حرفين اصليين لهما معنى اصلي ومازاد عليهما فهو لتفريع المعنى الاصلي وتنويعه فعلي سبيل المثال : « جسر » ثنائي مدلوله الشد ثم القطع وقد توسع كل منهما في المعاني المتفرعة فمنه : صر : الدراهم وضعها في الصرة مشدودة وصرى : قطع ومنع وحبس

---

(٧٥) الساق على الساق فيما هو الفارياق . المكتبة التجارية، مطبعة الفنون الوطنية ، بمصر ، بلا تاريخ ، حـ ١ ص ١ - ٢ .

(٧٦) الدكتور محمد احمد خلف الله : احمد فارس الشدياق ، وآراؤه اللغوية والادبية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٥ م : ص ١٠٩ .

(٧٧) جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية : مراجعة د . مراد كامل ، دار الهلال ، ص ٩٩ ، ص ١٠١ .

(٧٨) المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية السامية : مطبعة الاباء الفرنسيسيين ، القدس : ١٩٣٧ م : ص ٦ .

وفصل وصار : الشيء قطعه وفصله . وصور : الشيء جعل له صورة وشكلا »(٧٩) .

وتتردد اصداء هذه النظرية عند انستاس الكرملي الذي يقول : « ان الكلم وضعت في اول امرها على واحد متحرك فساكن محاكاة لاصوات الطبيعة ثم فئمت اي زيد فيها حرف او اكثر في الصدر او القلب او الطرف فتصرف فيها المتكلمون تصرفا يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والاهوية »(٨٠) اي ان اصل الالفاظ حرفان محاكاة لاصوات الطبيعة لهما معنى معين اصلي بالطبع ، ويزاد حرفا او اكثر في اول الكلمة او وسطها او او اخرها ليتنوع المعنى الاصلي حسب الظروف والمقام والبيئة والزمان .

ويذهب العلايلي مذهب الشدياق بل يغالي في تصوره ان لكل حرف عربي معنى « فالهمزة على الجوفية ، والباء تدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما ، والجيم تدل على العظم مطلقا ، والخاء على المطاوعة والانتشار ، والدال على التصلب والذال على التفرد والراء على الملكة وشيوع الوصف ، والسين على السعة والبسطة ، والشين على التفشي بغير نظام ، والعين على الخلو الباطن ، او على الخلو مطلقا والغين تدل على كمال المعنى في الفؤور ، او الخفاء ، والفاء تدل على المعنى الكنائي ، والقاف على المفاجاة التي تحدث صوتا ، والميم تدل على الانجماع ، والهاء على التلاشي ، والواو تدل على الانفعال المؤثر في الظواهر والياء على الانفعال المؤثر في الباطن(٨١) . طبعا بقية حروف الابجدية العربية لم تخل من معان تخيلها العلايلي فيها .

والاستاذ العقاد لايمانه بهذه الدلالة الصوتية الطبيعية للحروف لم يكتف بما يكتبه اليه الشاعر رشيد سليم الخوري من انه : « تنبه بطول المراجعة الى ان الحاء تكاد تحتكر اشرف المعاني واقواها ، حب وحق وحرية ، وحسن وحركة وحلم وحكمة وحزم » (٨٢) ولايما لاحظه احد كبار المحامين وهو نجيب برادة من : ان الحاء اظهر الحروف اثرا في الايحاء بمعاني السعة حسية كانت او فكرية ويعمم الحكم فيسوى بين موقع الحاء في اول الكلمة وموقعها في وسطها او آخرها »(٨٢) ؛ وانما يرى تنوع معاني الحاء ودلالتها على اكثر من معنى حسب موقعها ، فهو لم يقنع لها بمعنى واحد او بدلالة صوتية ذاتية واحدة بل احيانا تؤدي نقيض هذه الدلالة فهو يقول عن الحاء : « فالحكاية الصوتية في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات : الارتياح ، السماح ، الفلاح ، النجاح ، الفصاحة ، المرح ، الصفح ، الفتح ... ماجرى مجراها في دلالة نطقه على الراحة ... ولكن يجوز ان يكون بها مقصودا به عند وضع الكلمات الاولى ان تتبعه الحركة التي تناقض معنى السعة لتدل على الحجر والتقيد ، فان الجيم الساكنة بعد الحاء اشبه شيء بعلامة الالغاء التي توضع على صورة الرجل الماشي على قدميه ، ليستفاد منها ان المشي ممنوع في هذا المكان ... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء في اسم « الحبس » فانها تنفي السعة بعد الاشارة في اول الكلمة » . فالحرف له دلالة حين يكون آخر الكلمة تختلف ان لم يكن على النقيض منها اذا كان الحرف في اول الكلمة متلوا بحرف له صفة معينة . ثم يذكر بعد ذلك الخصائص المعنوية لبعض الحروف « فالميم مثلا في اواخر الكلمات تدل دلالة لاشك فيها عند الاستماع الى كلمات كالحتم والحسم والحطم والجزم والعزم والقضم ... كلمات لاتخلو من الدلالة على التوكيد والتشديد والقطع الذي يدل على المعاني الحسية ؛ كما يستعار احيانا لمعاني القطع بالراي والاصرار على العزيمة ، وحرف السين على نقيض الميم لدلالته على المعاني اللطيفة كالهمس والوسوسة والنيس والمس والمساس والاقتباس ، ولكنه يتغير اذا تغير موقعه من الكلمة كما يلاحظ في المشابهة اللفظية والمعنوية بين السد والشد والصد »(٨٢) .

فهو يذهب الى ابعد مما ذهب اليه الشدياق والعلايلي باثباته للحرف اكثر من دلالة صوتية حسب موقعه ويصل بعد ذلك الى النتائج التالية التي تحكم قاعدة الحكاية الصوتية ودلالتها وايحائها بمعان : « اولا ان هناك ارتياحا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات . فهو يذهب مذهب بوز Pos في ربطه معنى الكلمة . بدلالة الفونيم الذاتية . ثانيا :

(٧٩) المصدر السابق : ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٨٠) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها : القاهرة : ١٩٣٨ ، ص ١ .

(٨١) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ، بقلم د . اسعد علي ، ط ١ ، دار النعمان ، لبنان ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م : ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٨٢) عباس محمود العقاد : اشتات مجتمعات في اللغة والادب ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٨٢) المرجع السابق .

ان الحروف لاتتساوى في هذه الدلالة ، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية ثالثا : ان العبرة بموقع الحروف من الكلمة لامجرد دخوله في تركيبها . رابعا : ان الاستثناء في الدلالة قد يأتي من اختلاف الاعتبار والتقدير ولا يلزم أن يكون شذوذا في طبيعة الدلالة الحرفية » (٨٤) . وخلاصة الامر انه يصر على وجود هذه الدلالة الذاتية ، ولكن موقع الحرف يتحكم في ابراز هذه الدلالة او تحويلها الى نقيضها .

واما الدكتور صبحي الصالح لشدة اعجابه بصنيع ابن جني الذي ادرك فيه القيمة التعبيرية للحرف العربي فيرى فيه « فتحا مبينا في فقه اللغات »(٨٥) .

والاستاذ محمد مبارك يؤيد هذا المذهب باندفاع ويرى في ثقة تامة انه ان لم يدل الحرف بصوته على المعنى قطعا ، فالصوت يوحي به على الاقل . فهو يقول : « ونستطيع ان نقول في غير تردد ان للحرف في اللغة العربية ايحاء خاصا فهو ان لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وايحاء ويثير في النفس جوا يهيىء لقبول المعنى ويوجه اليه ويوحي به » (٨٦) .

ويقف على النقيض من هذا الاتجاه فريق من اساتذة الجامعات العربية وهم ممن تأثروا بالفكر اللغوي الحديث وهم الدكتور ابراهيم انيس حيث يقول : « ولاشك ان الذين ينكرون الصلة بين الاصوات والمدلولات هم اقرب الفريقين الى فهم الطبيعة اللغوية فهم الذين يجردون الظواهر اللغوية من كل غموض » (٨٧) ثم يصنع بعد ذلك صنيع يسبرسن بذكره الالفاظ التي يلحظ فيها الصلة بين الصوت والمدلول ويردف بعدها قائلا : « والامور السابقة في مجموعها لاتكفي لتأييد الارتباط بين الاصوات والمدلولات بحيث نؤمن بوثوق الصلة بين الاصوات والمدلولات صلة منطقة عقلية في الذهن الانساني العام »(٨٨) ويذكر في موضع اخر ادلة المعارضين لمبدأ الربط بين الاصوات والمدلولات قائلا : « وصارت الغلبة لاولئك المعارضين في مبدأ الربط بين الاصوات والمدلولات وتكاد تنحصر أدلتهم فيما يلي :

(١) ان الكلمة الواحدة في اللغة الواحدة قد تعبر عن عدة معان (وهو المشترك اللفظي) .

(٢) المعنى الواحد قد يعبر عنه بعدة كلمات مختلفة الاصوات وهو مايسمى بالترادف .

(٣) ان الاصوات والمعاني تخضع للتطور المستمر على توالي الايام ، فقد تتطور الاصوات وتبقى المعاني سائدة ، كما قد تتغير المعاني وتظل الاصوات على حالها »(٨٩) .

واما الدكتور حسن ظاظا فيقول : « وقد خدع بعض الباحثين في اللغات بظاهرة ضللتهم وهي انه توجد في جميع اللغات الفاظ تحمل معناها في هيكلها المسموع نفسه اي في جرسها الصوتي»(٩٠) . ويذكر طائفة مما تلحظ فيه هذه الظاهرة من الفاظ الانفعال والانوماتوبيا ويردف قائلا : « ولكن باختيار يثبت خطأ تلك النظرية من الوجوه التالية : الفاظ التعجب والانفعال الموجودة في اللغة ليست هي بعينها الصيحات اللاارادية الطبيعية وانما هي صورة صوتية تقريبية لها وتثبيت لبنائها على وضع لغوي يتغير ... انها ليست الا محاكاة تقريبية باردة للطبيعة...والكلمات ذات الجرس المعبر (يقصد الانوما توبيا) توجد هي الاخرى في جميع اللغات لتعطي تصويرا موسيقيا لبعض الدلالات فقط وهي الدلالات التي لها اصوات في الطبيعة وليس من شك في ان الانسان البدائي بذل اقصى الجهد في ان يحاكي بصوته مافي الطبيعة من اصوات ونغمات كلما وجد ذلك ممكنا دون أن يجعل من ذلك قاعدة عامة أو حتى حكما غالبا . وقد لاحظ سابير Sapir ان قبائل الاتباسكا وهم من الهنود الحمر الذين يعيشون على الفطرة على ضفاف نهر ماكينزي بأمريكا لايكثرون في لغتهم من الالفاظ ذات الجرس المعبر ، بل يقول انهم افقر في تلك الناحية من اللغة الانجليزية او الالمانية مثلا »(٩١) .

فهو يرى اذا في الدلالة الصوتية للالفاظ ظاهرة خادعة مضللة ويحاول كماراينا توجيه الفاظ الانفعال

---

(٨٤) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٨٥) دراسات في فقه اللغة : ص ١٥٩ . ط ٢ ، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت .

(٨٦) فقه اللغة وخصائص العربية : ص ٢٦١ . ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨ .

(٨٧) من اسرار اللغة : ص ٧٧ . مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ م .

(٨٨) المرجع السابق : ص ٨١ .

(٨٩) السابق : ص ٧٧ .

(٩٠) اللسان والانسان . دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧١ م : ص ٣٠ ، ٣٢ .

(٩١) المرجع السابق .

والانوماتوبيا توجيها يثبت خطأ تلك النظرية ، كما فعل دي سوسير تماما .

وفي السنوات الاخيرة ظهرت كتب ثلاثة يجمع فيها اصحابها على معارضة الصلة بين الصوت والمدلول وهي : « كتاب فقه اللغة في الكتب العربية» لاستاذنا الدكتور عبده الراجحي حيث يذكر فيه من شغل من اللغويين العرب بالعلاقة بين اللفظ ومدلوله كابن فارس وابن جني ويبين ان اقتناع الاخير به «قائم على التصور العقلي على الاغلب»(٩٢) ويذكر اعجاب د. صبحي الصالح بمنحى ابن جني ثم يقول : « غير ان اقتناع ابن جني بهذا الراي ، واعجاب الدكتور صبحي الصالح به لايمنع من التاكيد على ان اهل اللغة بوجه عام ، يطبقون على رفضه ، ويرون انه ليست هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله ، وليست هناك علاقة بين الرمز والشيء الذي يرمز اليه » (٩٢) محتجا بما اورده Sapir وهاياكاوا Hayakawa من ادلة في دحض هذه الظاهرة .

وفي العام ١٩٧٤ م يصدر كتاب « اللغة بين العقل والمغامرة » الذي يقول فيه صاحبه : « ان وجهة النظر التي يمكن ان تتراءى لنا بغير حرص على التوفيق والتلفيق يمكن أن نلقاها حين نسلم بان مجموعات من الالفاظ يمكن ان تخضع لمثل هذه المواضعة التي تربط الدالات بالدلالات بحكم كم اسطوري او سحري احاط بتلك المجموعة . وليس من المرفوض ان تكون مجموعات اخرى قد نأت عن مثل ذلك الافق او ان تكون اصولها البعيدة في طيات التاريخ الطويل والمبهم . ومثل هذا سيفضي بنا الى نفي الصلة الدلالية بين مكونات اللفظ وصورته النهائية او الى نفي كون الاصوات رموزا تحمل معاني بفعل ذات الرموز ولاشك في ان للنظر هذا مساره ، فمهما كانت الصفات الخاصة بالمرئيات الصوتية « فونيمات » فمن العسير ان نتصورها مبتلعة الخصائص المستقلة والكاملة للالفاظ »(٩٣) . فالدكتور مندور في النهاية ينفي الصلة بين الاصوات والمدلولات موافقا اولمان في اعتراضه على بوز Pos في انه من الصعب ان نتصور أن الفونيمات تحمل خصائص الالفاظ التي تتالف منها .

والكتاب الثالث صدر في طبعتين : الاولى سنة ١٩٧٥م، والثانية مزيدة سنة ١٩٧٨ وهو «مدخل الى علم اللغة » الذي يصر فيه الدكتور محمود فهمي حجازي على ان العلاقة بين اللفظ ومدلوله اصطلاحية وليست ذاتية طبيعية حيث يقول : « ان الرموز اللغوية لاتحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي ، فليست هناك اية علاقة بين كلمة حصان ومكونات جسم الحصان ، والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الانسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان . ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف اي على ذلك الاتفاق الكائن بين الاطراف التي تستخدمها في التعامل . وهذا معناه ان المؤثر والمتلقي متفقان على استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمها العرفية » (٩٤) .

وهكذا ينفي الدلالة الذاتية نفيا باتا والعلاقة بين اللفظ ودلالته لاتكون الا بالمواضعة من قبل مستخدمي اللغة ، فهي عرفية .

---

(٩٢) فقه اللغة في الكتب العربية : ص ٦٨ - . دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

(٩٣) د . مصطفى مندور : ص ١٢٥ .

(٩٤) الدكتور محمود حجازي : دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م . ص ١١ .